أصداء من خلوات اللقاء الروحى مزينة لمملكة - فبراير ٢٠٠٧

أبى وأمى، آدم وحواء – ١ -

تعودنا أن نلوم أبوانا آدم وحواء ونلقى عليهم بتبعة كل التعب الذى نختبره فى رحلة حياتنا. ونقول بملء الفم لولا سقطتهما لما كان هذا الحال، فالحياة مليئة بالتعب والخبرات الصعبة حتى بعدما خلصنا ربنا يسوع؛ مازال الرجل يأكل خبزه بعرق جبينه ولا زالت المرأة تحبل بالآلام وتلد بالأوجاع والأحزان.

وبين جادٍ فى كلامه أو مهزار يسلى نفسه ويسرى عنه مشقة الحياة، صار آدم وصارت حواء فى هامش الحديث عن الفضيلة كأنما لا يخصهما سوى الحديث عن السقوط والأكل من الشجرة وما حدث لنسلهما من جراء هذا الأمر.

ولكن بكل تأكيد هناك فضيلة بل فضائل فى آدم وحواء أبوينا الأولين. ولو حاولنا تتبع سيرتهما – التى لم يستفض فيها الكتاب بعد الطرد من الجنة – سندرك عظمة فضيلتهما برغم ما لصق بهما من اتهامات.

هيا بنا نجرى حوارًا معهما يحدد ملامحه الكتاب المقدس والتقليد الذى حفظ لنا الدروس العملية فى حياة الكثيرين من رجال اللـه ومنهم بالتأكيد آدم وحواء.

* يا أبى آدم .. يا رجل الله، يا مسرة قلبه وقمة إبداعه، أسألك الآن وأنت قد عدت إلى الفردوس: هل لى أن تحدثنى عن نفسك؟ عن يومياتك التى صمت عنها الكتاب المقدس، كيف كنت تقضى يومك أنت وأمى حواء الغالية ؟

آدم: عن هذا سل داود أباك وإبنى.
كنت أنا هو الرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار ولم يقف فى طريق الخطاه ولم يجلس فى مجلس المستهزئين.
هل تظن أن يصارحنا إلهنا أن لذته معنا ولا يصير هو لذتنا ؟
أيام يا حبيبى لا ُتنسى وأحلام عميقة بأبدية سعيدة عشنا فيها سوياً أنا وأمك، ولكن حدث ما حدث.

حواء، متداخلة فى الحوار .. فالآمر يخصها :
خدعتنى الحية فأكلت. ظننت فى نفسى قوية، شغلتنى بالثمرة وعلمتنى كيف أفحص فى الوصية وأفلسفها بعيداً عن البساطة فكان السقوط.
كل يوم كنا نمر على ذات الشجرة ونعبر سريعًا إلى شجرة الحياة وآدم رجلى يقول: هيا بنا من ههنا، ليس لنا أن نأكل منها كقول الرب ولكنى أكلت مخدوعة بالحية ونسيت الوصية
أغضبت إلهى الحبيب الذى كان بالأمس معنا وكنا فى منتهى الشبع به، آه كم هو حلو ومفرح.

* بماذا شعرت يا أمى وأنت تأكلين ؟

حواء: مشاعر لا توصف يا ولدى، الموت يدُب فى الحياة وإحساس العرى والضياع يغمر كيانى.
وكم كانت الصدمة لما أعطيت آدم ووجدته يتعرى أمامى وأنا أتعرى فى عينيه. إحساس بالخجل لم نعرفه من قبل.
لم تكن كلمة خجل فى قاموسنا !

آدم: لا ننسى الهروب من بعضنا ومحاولة الاختفاء وستر جسدينا.
لا ننسى شماتة الحية مبشرتنا بالمجد والألوهية.
لا .. قد ضاع كل شئ.
وصوت رهيب من أعماق الكون؛
يا آدم .. هاقد صرت إلهًا ..
ولكن ياللخسارة إلهًا ميتاً !
ها أنت قد عرفت ما لم أرغبه أنا لك.
ولكن يا لشقاوتك، معرفة تقود الى موتك،
معرفة أفقدتك البساطة، وأحدرت طبيعتك إلى الفساد.

آدم وحواء: بكينا .. جرينا .. قرعنا صدرينا

حواء: إرتميت فى أحضانه .. باعدنى عنه فى غضب.
غضب لم أعهده فيه من قبل،
ولأول مرة أسمعه يقول: أنت السبب.
وأرد عليه فى غضب مماثل: لماذا أكلت من يدى ؟ ولماذا لم تمنعنى ؟
ضمنى إليه فى حنان والدموع تملأ أعيننا.
فليس مثلى فى الجنة سواه
وفحيح الأفعى يملأ الآذان وضحكات الشيطان تسخر منا واللـه غائب، أبعدناه عنا.

آدم : تهامسنا .. أين هو ؟ .. وماذا سيفعل بنا ؟
حواء : لن نموت .. فهو رحيم
آدم : بل نموت .. فهو عادل ..

آدم وحواء : وسمعنا صوته .. فاختبئنا.

آدم : لم أختبئ من عينيه فهو يرانى،
إنما اختبأت من عرىى وخشيت محضره !
كنت أعلم أنه قد عرف كل شئ،
وكنت واثقًا من أنه سيعاتبنى،
وأنى سأقع فى يده عاجلاً أم آجلاً.
فالجنة، دنيانا الصغيرة، كلها فى عينيه مكشوفة.

أخى الحبيب، ألا ترى معى أن هذه فضيلة فى آدم ؟
أن (يختشى) فى عريه، ويهاب محضر اللـه.
قل لى ماذا نفعل أنا وأنت ؟
فى عينيه نخطئ .. ونغيظه عيانًا،
ولما نتمم أفعالنا الرديئة نقف أمامه بكل جرأة وكأننا لم نفعل شيئًا.
ومنا من ينسى أنه أحزنه وأهانه، وفينا من يلومه ! تخيل ؟
كأن اللـه دفعه للسقوط لما أعطاه الحرية،
ونعود ونلوم آدم وحواء ! !
ياه للعجب.

غدا نكمل الحوار